الأندلسيون (الموركيون) بمقاطعة الجزائر «دار السلطان» أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر*

د. ناصر الدين سعيدوني
معهد التاريخ، جامعة الجزائر.

عرف الوجود الأندلسي بالجزائر ثلاث مراحل متميزة، الأولى إستغرقت الفترة الإسلامية المتقدمة، من القرن الثاني الهجري،(الثامن الميلادي) الى الخامس الهجري.(الحادي عشر الميلادي)، إرتبط فيها إستقرار العناصر الأندلسية بالنشاط التجاري خاصة وكان نتيجة الصلات الوثيقة بين الأندلس الإسلامية وبلاد المغرب الأوسط، والتي ميزت سياسة الدولة الأموية ثم ملوك الطوائف بالدول الإقليمية التي ظهرت بالجزائر. قبل أن تأخذ طابع التحدي من جراء التنافس بين خلفاء قرطبة الأمويين وحكام المغرب الفاطميين، وقد ساهم الأندلسيون في هذه المرحلة في إنشاء أو تجديد عمران العديد من المراكز الساحلية بالمغرب الأوسط وخاصة أثناء القرنين التاسع والعاشر ميلاد مثل وهران وتنس وبرشك وهنين وغيرها.

أما المرحلة الثانية للوجود الأندلسي بالجزائر فقد بدأت في منتصف القرن الخامس الهجري، (الحادي عشر الميلادي)، مع حكم المرابطين للمغرب والأندلس وإستغرقت فترة الموحدين والدول الإقليمية التي ورثتهم وإستمرت حتى إنتهاء الحكم الإسلامي بالأندلس بسقوط غرناطة (897هـ/ 1492م) بيد الإسبان، وقد تزايد نزوح الاندلسيين في هذه المرحلة مع سقوط الحواضر الإسلامية الكبرى.بالأندلس مثل قرطبة (1236) وبلنسية (1238) ومرسية (1243) وجيان (1248) واشبيلية (1248) فتوجه أغلب النازحين الى مدن بجاية وتلمسان وعنابة ووهران وهنين وتنس وغيرها، وقدأصبحت كل من بجاية وتلمسان بفعل هذا النزوح الذي كان في مقدمته رجال العلم، وأهل الصلاح وذوي الثروة والجاه، مراكز إشعاع علمي ونشاط اقتصادي متميز، فلم تنافسهما في ذلك سوى مدينة تونس عاصمة الحفصيين ومدينة فاس قاعدة المرينيين.

بعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة للنزوح الأندلسي الى الجزائر التي تبتدىء مع نهاية القرن التاسع الهجري. الخامس عشر الميلادي، وتستمر الى مستهل القرن الحادي عشر الهجري، أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد إتخذت الهجرة الأندلسية في هذه المرحلة طابع نزوح جماعي مع قرارات التنصير القصري

* قدم هذا البحث في الدراسات الموريسكية بسان كارل دولارابيطة وطرقونة اسبانيا 4-9 ديسمبر 1990

والطرد الإجباري (1609-1614م) التي اصدرها فيليب الثاني الإسباني بهدف القضاء نهائيا على العنصر الإسلامي باسبانيا، فغادرت أعداد ضخمة من المزارعين والصناع والتجار من بقايا المسلمين مواطنها الأصلية باسبانيا، وتوزعت على سواحل بلاد المغرب العربي، وكان لمقاطعة الجزائر المركزية المعروفة بدار السلطان والممتدة من دلس الى تنس ومن البحر إلى البليدة، نصيب وافر من هذه الهجرة لتعاطف الحكام العثمانيين بالجزائر مع المهجرين وذلك لقلة سكان المنطقة مع توفرها على إمكانيات إقتصادية مساعدة على الإستقرار وخدمة الأرض، وهذا ما جعل الحياة الإقتصادية والإجتماعية بهذه المقاطعة المركزية (مقاطعة الجزائر ودار السلطان) من البلاد الجزائرية ترتبط أساسا بتواجد العنصر الأندلسي الذي تعرفه المصادر الغربية بالموركسي هذا العنصر البشري المتميز الذي سوف نعرفه في هذا البحث بالأندلسي الموركسي لترابط الإسمين مع بعضهما، فرغم نقص المعلومات عنه فإننا سوف نحاول في حدود المعلومات المتوفرة لنا أن نتعرف على هويته ومدى مساهمته في مختلف مجالات الحياة وخاصة وسطه البشري ونشاطه الإقتصادي والإجتماعي والثقافي.

أ- الوسط البشري للعنصر الأندلسي الموركسي بمقاطعة الجزائر:

إرتبط التواجد الأندلسي الموركسي بمنطقة الجزائر بالصراع البحري العثماني الإسباني مع مستهل القرن السادس عشر، فقد رأى الأندلسيون الموريسكيون في السلاطين العثمانيين منقذين لهم في محنتهم فتوجهوا إليهم بالرسائل والوفود منذ عهد بايزيد الثاني (1512) وحتى أثناء حكم سليمان القانوني (1541)، وقد اصبحت هجرة الموركسيين الى الجزائر ظاهرة عامة مع إستقرار الحكم العثماني بها، وقد ساهم في ذلك الأخوان بربروسة عروج وخير الدين وخلفاؤهم من الباي لاربايات والبشوات في تعزيز الوجود الأندلسي الموركسي بمدينة الجزائر وإقليمها، فقد نقل خير الدين بربروسة أثناء إغاراته العديدة على سواحل اسبانيا أعدادا كبيرة من مسلمي الأندلس الى الشواطىء الجزائرية قدرها صاحب كتاب الغزوات بحوالي السبعين ألف نسمة، وقد إستمرت الهجرة الموركسية بعد ذلك كثيفة بفعل التطورات التي عرفتهاإسبانيا آنذاك مثل الضغوط التي تعرض لها المسلمون سنة 1523 ودفعت أعدادا كثيرة منهم الى الإنتقال الى الجزائر، وكذلك ثورة جبال البشارات 1569-1570 التي أدت الى نزوح اغلب الثائرين البالغ عددهم الثلاثين ألف بقيادة الباكي الى الجزائر على ظهر سفن تركية وضعت تحت تصرفهم في صائفة عام 1570 بعد أن فشلت ثورتهم اثر توصلهم الى عقد إتفاق مع دون خوان في 20 ماي 1570، وفي نفس السنة ايضا نزل بالجزائر غالبية سكان بالميرا من المسلمين، وبعد سنوات قليلة من ذلك (1584) تمكن حسن فينيريانو من نقل ألفي موركسي من منطقة أليكانت A licante وفي السنة التالية (1585) وصلت جموع من سكان كاطالونيا الى الجزائر على ظهر سفن جزائرية، وهكذا فلم تحل سنة 1591 الا وكانت مدينة الجزائر والمراكز العمرانية القريبة منها مثل البليدة والقليعة وشرشال تعج بالاندلسيين الموركسيون الذين ما فتئوا يتزايدون بفعل توافد أعداد أخرى نقل بعض الجماعات منها الرايس مراد في إحدى غاراته المفاجئة من سواحل لورقة غرب قرطاجنة.

هذا وقد عرفت السنوات الأولى من القرن السادس عشر تضخم أعداد الأندلسيين: الموريسين بالمدن والأرياف نتيجة قرارات الطرد الجماعي (1609-1614) التي وصفها المؤرخ فرديناند برودال /F) Braudel) بالعملية الجراحية " L'Opération chirurgicale" لكونها قد إجتثت العناصر الإسلامية من مواطنها باسبانيا، والقت بها الى سواحل بلاد المغرب ومنها مقاطعة الجزائر التي استقطبت عددا كبيرا من مهجري قشتالة وبلنسية وغرناطة، قسم منهم كان من جماعات الثائرين بجبال البشارات (Sierra) التي التحقت بالجزائر عن طريق ميناء بلنسية في فيفري 1619 إثر توصلهم مع نائب الملك سيمون زباطا (Simon zapata) ، الى عقد صلح سمح لهم بمغادرة مواطنهم وقد تبعتهم جماعات أخرى من مسلمي استرامادرا (Estra madure) والارغون (Aragon) والمنشا(w.macha) وصل العديد منها الى الجزائر عن طريق ليفورن بإيطاليا بعد مرورها بمرسيليا وهلاك العديد من أفرادها في هذا الطريق الطويل والشاق.

، بفعل هذا التوافد الأندلسي الموريسكي المكثف أمكن للمناطق الساحلية من المغرب الأوسط التغلب على الانهيار الديموغرافي الذي تمثل في قلة السكان وإفقار الريف إضمحلال المدن، وأصبحت مقاطعة الجزائر (دار السلطان) موطن استقرار رئيسي للعناصر الأندلسية الموريسكية التي استقرت بالمدن وفحوصها وإنتشرت بالأرياف القريبة منها فعرفوا عند عامة الناس بأهل الأندلس وان اختلفت تسمياتهم المحلية باختلاف مواطنهم التي هاجروا منها، فهم غرناطيون Grenadins بشرشال وإقليمها وثغريون Tagarins بالجزائر وفحوصها ومدجنون Mûdajen بالبليدة والقليعة والنواحي القريبة منهما، هذا مع العلم بأن الجماعات الأندلسية الموريسكية قد تلاحمت مع بعضها في مواطنها الجديدة وأصبح من الصعب تمييز طائفة منها عن الأخرى فالكل يعرف بالأندلسيين وإن حاول بعض الكتاب الأوربيين تسميتهم بالمدجنين مرة وبالموريسكيين تارة والغرناطيين والبلنسيين والثغريين تارة أخرى هذا ويمكن التعرف على الوسط البشري للأندلسيين من خلال رصد تواجدهم في مدن مقاطعة الجزائر وهي مدينة الجزائر ومدن البليدة والقليعة وشرشال ودلس، فمدينة الجزائر تحولت بفعل الهجرات المتتالية للأندلسيين الى بيئة يغلب عليها الطابع الأندلسي، وقد ساعد على ذلك قلة سكانها منذ تأسيسها على يد بلكين بن زيري (339-950م)، وبقاؤها بعيدة عن اي حكم مركزي منذ الثلث الأخير من القرن الرابع عشر، وتحولها أثناء ذلك الى مركز جهاد بحري قبل أن تصبح قاعدة للبلاد الجزائرية مع إستقرار الأخوين عروج وخير الدين بها (1516) وقد تأكدت مكانة الجزائر واتسع عمرانها مع استمرار هجرات الاندلسيين الموريسكيين في فترة لاحقة خاصة في سنوات 1567، 1584، 1607 و1609، وقد تدعم هذا التأثير الاندلسي الموريسكي بمدينة الجزائر بانشاء احد الاندلسيين في أواخر القرن الخامس عشر، حصنا للدفاع عن المدينة فوق إحدى الجزر قبالة الجزائر قبل أن يحتله الاسبان، وكذلك زاد نفوذ الاندلسيين بالجزائر بانشاء، حصن خارج باب الوادي من طرف جماعة من التغريين وبناء تحصينات أخرى بأعالي المدينة عرفت بطبانة الأندلس من قبل مهاجرين موريسكيين آخرين.

هذا وقد ساعدت الجماعات الأندلسية المهاجرة من مايورقة والأرغون وقطالونيا وغرناطة. على نمو سكان مدينة الجزائر اثناء القرن السادس عشر. فأصبحت تضم حسب الأب هايدو (Haëdo) مالا يقل عن ألف منزل تقطنه ألفا أسرة أندلسية ومع النمو المطرد لمدينة الجزائر إرتفع عدد المهاجرين الاندلسيين بها الى 2000 عائلة أي ما يقدر بحوالي 25000 نسمة، وهذا ما جعل الأندلسيين يشكلون نسبة كبيرة من سكان مدينة الجزائر قد تصل الى ربع مجموع السكان الآخرين المؤلفين من الحضر والكراغلة والأعلاج والبرانية والدخلاء.

وغير بعيد عن مدينة الجزائر عند سفح الأطلس المتيجي توجد مدينة البليدة في مكان غير بعيد عن موقع خزرونة القديمة بجوار واد الرمان، ويعود اعمارها الى العناصر الأندلسية الموركية التي اقطعها خير الدين بربروسة عام 942ه/1535م أراضي بتلك الجهة فأستقرت بها تحت زعامة أحد الاندلسيين من ذوي الصلاح والتقوى وهو سيدي أحمد الكبير الذي اشرف على بناء مسجد وفرن وحمام بالمدينة، وقد ارتبط بالمصاهرة مع قبيلة اولاد سلطان المقيمة بالقرب منها، فأصبحت البليدة مقرا مفضلا للعديد من الأسر الأندلسية الموركية المهاجرة في مطلع القرن السابع عشر، وهذا ما جعل أغلب سكانها من الاندلسيين والموركيين، وحتى بعد التحاق جماعات أخرى بهم أغلبها من الاتراك والكراغلة وبعض قبائل متيجة والاطلس البليدي، إلاّ أن الاندلسيون ظلوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها فهم لا يقلون عن نصف السكان وذلك قبل أن تتعرض البليدة للتدمير بفعل زلازل عام 1825 الذي حولها الى مدينة صغيرة منكمشة داخل اسوارها.

والى الشمال الغربي من البليدة تنتصب مدينة القليعة على مرتفعات الساحل بالقرب من وادي الزعفران، وهي المدينة الاندلسية الموركية الخالصة التي ظلت تحافظ على الطابع الموركي الاندلسي الأصيل منذ أن أنشأتها جماعة من المدجنين Mudajers من مقاطعة قشتالة ونواحي غرناطة على عهد حسن باشا بن خير الدين سنة 957ه/1550م، وقد أمكن لهذه الجماعات الأندلسية المدجنة أن تفرض نفوذها وتحافظ على تماسكها بفعل إعتزازها بأصولها وولائها لأحد العلماء من أهل الأندلس وهو سيدي علي بن مبارك الذي حظي بتقدير واحترام قبائل متيجة، وقد توسع عمران القليعة بعدان توافدت إليها جماعات الثغرين من إقليم بلنسية خاصة حتى اصبحت تضم ما لايقل عن خمسة آلاف منزل وزاد عددسكانها عن الثلاثين ألف مع مستهل القرن السابع عشر،أما بأطراف اقليم الجزائر (دار السلطان) على ساحل البحر فهناك مركزان رئيسيان للأندلسيين هما دلس شرقا وشرشال غربا، فدلس عرفت توسعا ملحوظا منذ أن اتخذها خير الدين بربروسة قاعدة لاقليم الشرق (1517)، فقصدها الأندلسيون واصبحت تظم حوالي الفي أسرة تنتشر حول القصر الذي كان يقيم فيه حاكمها والذي اصبح مقرا لحاميتها، ثم توسع عمرانها بعد ذلك بتوافد اعداد أخرى من الأندلسيين الموركيين مع نهاية القرن السادس عشر، فاصبحت أسوارها تضم مالا يقل عن ألف منزل وهذا ما تؤكده المعلومات التي أوردها كل من غرماي Gramaye ونيكولادي نيكولا Nicolas de Nicolas (1551)، هذا في وقت كانت فيه شرشال تبعث من انقاضها بفعل هجرة مكثفة من الأندلسيين المهجرين إذ قصدها مالا يقل عن أثني

عشر ألف اندلسي مدجن من غرناطة ومعهم جماعات من بلنسية والارغون بعد عام من سقوط غرناطة (1492)، ورغم تعرضهم لهجوم قراصنة مايورقة (1505) الأ انهم استطاعوا اعادة بناء مدينة شرشال، فأنشأوا بها مسجدها الكبير (981ه/ 1573م) واقاموا حولها أسوارا وتحصينات منيعة أهمها البرج الذي أقامه في عهد عروج، القائد محمود بن فارس التركي سنة 924ه/1518م بعد القضاء على محاولة استقلال قارة حسن بشرشال عام 1516، وهذا ماساعد سكان شرشال الاندلسيين على التصدي فيما بعد لهجوم مفاجىء شنه أسطول اسباني يتألف من عشرين سفينة على ظهرها 15000 رجل بقيادة أندي دوريا André Doria ، وبعد أن تمكن هذا الأسطول المهاجم بفعل عامل المباغتة من اجتياح المدينة ونهبها لم يستطع التصدي للكمائن التي نصبها له الأندلسيون داخل المدينة، فتشتتت جموع المهاجمين الاسبان وامكن القضاء عليهم فقتل منهم عدة آلاف وأسر منهم مالا يقل عن 600 ولم يتمكن من النجاة منهم والالتحاق بالسفن سوى حوالي 3000 حسبما ذهبت إليه أغلب الروايات.

وإنطلاقا من هذا الوسط البشري بمدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال ودلس، اصبحت مختلف أوجه الحياة بمقاطعة الجزائر «دار السلطان» تكتسي طابعا اندلسيا صرفا يمكن تلمس جوانبه المختلفة من خلال التعرف على ما قام به الأندلسيون المورسكيون في ميادين الزراعة والصناعة والثقافة والفن وغيرها، وهذا ما نحاول التعرض له في النقاط التالية:

ب- دور الأندلسيين المورسكيين في مجال الزراعة الرّي:

يتمثل أساسا فيما طوروه من أنواع المزروعات وما استحدثوه من طرق الري وما أدخلوه من تقنيات زراعية، فقد استصلحوا الأراضي وزرعوا الأشجار المثمرة فأصبحت أرياف مقاطعة الجزائر تضاهي و زراعاتها ما كان موجودا بالآندلس قبل هجرتهم منها، ففحوص مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال أشبه شيء بنواحي غرناطة وبلنسية فأغلب الرحالة أشادوا بطريقة إستغلالها وجودة منتوجاتها اعجبوا بمناظرها التي تثير الخيال وتبعث الراحة في النفس، فهي حسب تعبير فكتور برنار V. Bernard تبعث الإحساس العميق بروعة الطبيعة وهدوء الريف لكل من يطلب الراحة والهدوء والتي عبّر عنها بقوله: "Un aspect le plus champétre et le plus paisible qu'une ame tranquille puisse désirer"

لقد تميزت فحوص مدينة الجزائر التي يشكل الأندلسيون نسبة كبيرة من سكانها بسعة مساحاتها التي كانت تمتد على مسافة عشرة فراسخ تنتشر عبرها المنازل الريفية التي تتوسط الحقول والبساتين (Metaires et Jardins) فهي من الكثرة ما جعل الأب دان Pére Dan (1636) يقدر عددها بألف (1000) منزل ريفي وبايصونال Payssonnel (1725) يرفع هذا العدد الى الضعف وهذه المنازل الريفيّة التي كان ينتقل اليها سكان مدينة الجزائر في فصل الصيف تعرف في لغة الفرنكا Langua Franca الشائعة بالماصري Macerie أما الزراعات التي اشتهر بها الأندلسيون المورسكيون فهي الخضار على إختلاف أنواعها والأشجار المثمرة بتعدد أصنافها، ولعل أهم انواع الأشجار المثمرة التي نجح

الأندلسيون في تطوير إنتاجها وتحسين انواعها عن طريق التلقيم والتطعيم بعد أن كانت تعاني الاهمال فهي: البرتقال والمشمش والتفاح والرمان والأجاص والكرز (حب الملوك)واللوز والجوز والزيتون والتين والكروم بالإضافة إلى أنواع البطيخ. أما الأنواع التي ادخلوها الى مقاطعة الجزائر ومن الراجح انها لم تكن معروفة أو شائعة قبل مجيئهم فهي اللارنج والتوت والليمون ومختلف أنواع الخضار كالفلفل والبطاطس والطماطم والباذنجان الذي استمد تسميته من مقاطعة اندلسية هي بتانجال (Bitanjel) والزعفران والسبانخ Epinards والقرنون Artichou والكراث Poireau والجلبان Petits pois والملفوف Chou والكرنب chou-Fleur والقرمز Kermés الذي كان يستعمل في صباغة المنسوجات بالبليدة ودلس بالاضافة الى العديد من انواع الزهور التي كانت تزرع بغرض تقطيرها مثل الورود ، هذا وقد نجح الأندلسيون الى حد بعيد في توسيع زراعة الليمون والبرتقال واللأرنج بنواحي البليدة والتوت بإقليم القليعة وشرشال حيث كانت تربى دودة الحرير واعتنوا بزراعة العنب بنواحي الجزائر بعد أن انحطت نوعيته وكادت تختفي زراعته، فاستخرجوا منه أنواعا جيدة من الخمر كانت توجه الى الحانات الموجودة بمدينة الجزائر والتي يشغتل بها الأسرى المسيحيين، كما استخرجوا منه الخل الذي كان يقبل عليه البحارة والجند العاملون في فرق المحلة والنوبة.

هذا وقد ساعد الاندلسيين الموركسيين على تطوير الزراعة معرفتهم بطرق الري الملائمة والتي كانت تقوم على تنظيم محكم ودقيق للمصادر المالية المتوفرة بمقاطعة الجزائر. فقد أقاموا لهذا الغرض في المناطق التي استقروا بها الأحواض والصهاريج ومدّوا السواقي والقنوات وبنوا الحنايا والقناطر وانشؤوا النوريات «الناعورات»، ففي الجهات القريبة من الجزائر، اصبحت كل من سهول الحامة ومنخفضات وادي كنيس وبئر خادم وبئر مراد رايس وبني مسوس ووادي المغاسل تنتشر فيها النوريات والأحواض والسواقي التي اقيمت على الآبار التي حفرت بها، هذا وفي الوقت الذي نجح فيه الصناع الاندلسيون في استغلال مياه العيون الواقعة بالمرتفعات فاستعملوا جزءا منها في ري البساتين بينما وجهوا الجزء الآخر لسد حاجات سكان مدينة الجزائر، فقد أشرف الصانع الأندلسي المعروف بباسطة موسى على جلب مياه عيون الحامة التي يزيد منسوبها عن 9 لترات في الثانية الى مدينة الجزائر، في عهد قوصة مصطفى باشا (1610- 1613) عبر قناة طولها 4500م، وقد استعمل في بنائها الأقواس ذات الطابقين المترادفين لتجنب منخفض وادي ميزاب بناحية عين الربط، ونفس الأعمال قام بها عمال اندلسيون مورسكيون بمساعدة من السكان الآخرين في فترة سابقة عندما تمكنوا من جلب مياه العيون الواقعة على نصف مرحلة إلى الجنوب من الجزائر بواسطة قناة التلاواملي، وجر مياه عيون بير طربلية الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة الجزائر في عهد أحمد عراب سنة 1573 لتزويد برج مولاي حسن (حصن الامبراطور) بالمياه وسد حاجة الأحياء العلوية من مدينة الجزائر المجاورة للباب الجديد من المياه الضرورية، وعندما زادت حاجة السكان الى الماء مع نمو مدينة الجزائر، اضطروا كذلك الى جلب المياه الغزيرة لعيون زبوجة عبر قناة طولها أكثر من 8000م جزء منها مغطى والآخر فوق الأرض أقيمت له الأقواس لتجنب وادي حيدرة وهضبة الأبيار.

وفي فحص البليدة تمكن الأندلسيون المورسكيون من تحويل مياه وادي الرمان الذي اصبح يعرف بوادي سيدي أحمد الكبير الاندلسي الذي ينبع من منحدرات جبل الشريعة الى قناة رئيسية طولها 1500م ذات منسوب مائي مرتفع يصل الى 20000 لتر يوميا وجهوا جزءا منه الى عدة سواقي لري. البساتين، واحتفظوا بالجزء الرئيسي لاستغلاله في الصناعات وتوجيهه لسد حاجات مدينة البليدة من المياه، ولم يكتفوا بذلك فقد حاولوإستغلال المياه المنحدرة من جبل الشريعة عبر أودية الخميس وبني عزة وجبورو بني شبلة والمبدوع وتامرة وبني مفتاح التي وجهت خصيصا لري بساتين البرتقال التي توسعت واصبحت أشبه شيء حسب وصف بعض الرحالة بغابة كثيفة تحيط بالمدينة من جميع جهاتها.

وفي القليعة ايضا عمل الاندلسيون المورسكيون على إستغلال مياه الآبار وبعض العيون لري البساتين وتزويد المدينة بالمياه، كما امكن لهم استغلال مياه وادي مازافران (ماء الزعفران) القريبة في ري البساتين الممتدة على ضفافه حتى معبر عنق الجمل، أما في شرشال فقد تمكن الأندلسيون من جلب المياه من منبعين غزيرين يقعان في المرتفعات الشمالية الشرقية واستطاعوا جر مياه هاذين المنبعين الى المدينة وفحوصها في قنوات مصنوعة من الفخار والطين المعالج بعد أن تعذر عليهم استغلال مياه الآبار الواقعة بالقرب من الساحل لتغلب الملوحة عليها.

هذا ولم تقتصر هذه الأعمال الفنية للأندلسيين المورسكيين على زراعة الأرض واستغلال مصادر المياه في فحوص المدن التي استقروا بها، بل اتسع مجال نشاطهم في الزراعة والري الى سهول متيجة ومرتفعات الساحل وسفوح الأطلس المتيجي حيث ساهموا مع بقية السكان الآخرين في استغلال مصادر الماء وزراعة الأراضي وبناء المنازل الريفية التي ذهب فانتور دي بارادي Venture de Paradis في فترة متأخرة (1789) إلى القول في شيء من المبالغة ان عددها قد يصل الى ستة عشر ألف بستان ومزرعة (Jardins et Metaires).

ج- دور الأندلسيين المورسكيين في مجال الصنائع والمهن:

ففي مجال الصناعة أدخل الاندلسيون المورسكيون بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) عدة صناعات جديدة وعملوا على تطوير ماكان موجدا منها، وهذا ما جعل مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال تتميز بنشاط حرفي حقيقي موجه لتغطية الاستهلاك المحلي وللتبادل مع الأقطار الإسلامية الأخرى.

وقد كان أغلب الإنتاج الصناعي للأندلسيين المورسكيين يتم في ورشات بسيطة خصصت لها الطوابق الأرضية من المنازل وجعلت لها أبواب على الأزقة لتسهيل التعامل وصرف السلع الجاهزة، وقد تجمعت كل صناعة منها في مكان مخصص له بحيث عرف كل زقاق أو ساحة أو حومة بالصناعات الموجودة به، وقد شاركتهم في ذلك بعض الطوائف الأخرى من السكان من الحضر واليهود. ففي مدينة الجزائر مثلا اشتهرت أسواق الغزل والشواشي والنجارين والفخارين والعطارين والصباغين والجيارين والحدادين والرصايصية والنحاسين. والبشامقجية والمقفالجية والصاغة والمقايسية والشقماقجية (أوباعة السلاح) وغيرها.

أما أهم أنواع الصناعات التي تميز بها الاندلسي المورسكي بمقاطعة الجزائر فهي:

1- صناعة الأقمشة (textile) من المواد الأوليّة المتوفرة من كتان وصوف وحرير وقطن وقد برعوا في نسج أنواع رفيعة من الأقمشة واصناف جيدة من الزرابي، وقد اشتهرت خاصة برشك بنسج نوع جيد من الكتان، وشرشال والقليعة بأنواع رفيعة من الحرير واصناف جيدة من المخمل «القطيفة» (velours)، ومع تدهور تربية دودة الحرير بخصوص هاتين المدينتين انحصرت صناعة الحرير في مدينة الجزائر فاشتهرت بها عائلات موركسية ظلت تحافظ عليها مثل أسرة بوناطيرو. وبالاضافة الى ذلك فقد اختص الأندلسيون الموركيون بمدينة الجزائر بصناعة الشاشية (La chachia) من نوع جيد من الصوف المعالج. وهذا ما جعل شاشية الجزائر الأندلسية تلقى رواجا كبيرا في أسواق الشرق وخاصة تونس واسطانبول قبل أن تتراجع صناعتها وتتفوق عليها الشاشية التونسية الأندلسية خاصة، هذا ولعل هذا النجاح في صناعة الشاشية وفي نسج الأقمشة الذي حققه الاندلسيون الموركيون بمدينة الجزائرهو الذي جعل هايدو يقدر في تقاييده عدد صناع النسيج بالجزائر في القرن السادس عشر بما لا يقل عن 3000 صانع.

هذا وترتبط صناعة النسيج الأندلسية والموركية بالجزائر بمهنة الصباغة التي اشتهرت بها كل من البليدة ودلس خاصة لتوفر نبات القرمز بجهاتها ولوجود عيون غزيرة ومجاري مائية دائمة بها، وقد إستطاعت البليدة بفضل نشاط صناعها وتوفرها على أحواض الصباغة، أن تحتكر هذا النشاط الصناعي بعد أن اضمحلت دلس وتناقص سكانها، فاصبحت جماعة الصباغين الموركيين (teinturie) بالبليدة تتولى صباغة الأقمشة والأصواف المستعملة في صناعة الشاشية بمدينة الجزائر.

2- صناعة التطريز وتوشيح الثياب الحريرية بالذهب والفضة (Brocart d'Or et d'Argent). واختص بها الأندلسيون دون غيرهم، ولم ينافسهم فيها سوى اليهود الأندلسيون الذين قدموا معهم وبعض العائلات الحضرية التي احتكت بهم وقد عرفت بتوشيح الثياب عدة عائلات أندلسية موركية ظلت تتوارثها جيلا بعد جيل، وهذا ما عمل على بقاء صناعة «الشبيكة» (Dentelle) بمدينة الجزائر تمارس حسب الطرق التي كانت تتبع في صناعتها في بلنسية وغرناطة والمرية، هذا ويضاف الى فن التطريز والشبيكة هناك صناعة الأحزمة الحريرية التي تفننت الاندلسيات في تزيينها بأشكال ملونة وكذلك المعلقات maâlaka الجميلة (tapisserie) التي تزين بها الجدران والبنيقات الرفيعة التي تستعمل في تغطية الرأس وغيرها من أنواع المطرزات .

3- صناعة الصابون (saveniers) والمستحضرات العطرية (Parfumerie) التي ارتبطت بالصناع الاندلسيون الموركيون الذين استحضروا أنواعا عديدة من العقاقير (drogues) واستخلصوا المياه المقطرة من الورود وزهور اللأرنج والبتقال مثل ماء الورد المستعمل في الأطعمة ومحلول العطر لغرض الزينة.

4- صناعة المجوهرات والحلي (Orfévrerie) عرف بها الأندلسيون الموركيون وجماعة اليهود وقلدهم في ذلك بعض الحضر وتميزت خاصة بصنع الخواتم الفضية والذهبية المرصعة والأسورة (bracelets) والخلاخل والأقراط التي كانت على شكل أهلة منها نوع يعرف بالمشيرفة (Méchirfa) لقي اقبالا كبيرا للطافة شكله واتقان صناعته.

5- صناعة الأسلحة وتحضير البارود، نجح الصناع الأندلسيون الموركسيون في صنع نوع محلي من البنادق واتقنوا تقنيات تحضير البارود، وقد وجدت هذه الصناعة التي كانت تتميز عما كان معروفا محليا ببلاد القبائل اقبالا كبيرا من طرف سكان متيجة والأطلس البليدي. هذا وقد أوجد الصناع الموركسيون في فترة متقدمة فرنا لصهر النحاس بمدينة الجزائر عرف «بدار النحاس» وجه انتاجه لصناعة الأدوات النحاسية المختلفة للإستعمال المنزلي (Dinanderie) ثم تحولت تحت الحاجة الى مشغل لصنع نوع من المدافع لتعزيز الدفاعات عن مدينة الجزائر في القرن السابع عشر.

6- صناعة الحدادة ومعالجة المعادن: مهر فيها صناع شرشال الموركسيين الذين تمكنوا من معالجة خامات الحديد الموجود في تلك الجهات وطوروا منها نوعًا جديداً من الفولاذ كان يستعمل خاصة في صناعة البنادق وقد تصنع منه الأبواب والنوافذ والشرفات لشدة مقاومته ومتانته.

7- صناعة ومعالجة الخشب والنجارة (L'Ebénisterie) تفنن فيها أندلسيو مدينة الجزائر خاصة فاستخدموا النقوش المطعمة بالعاج فيما صنعوه من خزائن وصناديق وموائد مختلفة وأسرة وأبواب وغيرها. وهذا ما جعل صناعتهم تختلف من حيث الشكل عن باقي الصناعات.

8- صناعة الجلد (Tannage) طورها الاندلسيون الموركسيون فاصبحت أكثر اتقانا ودقة مما كانت عليه، وقد ساعد على ذلك وجود أحواض خاصة خارج مدن الجزائر والبليدة تعالج فيها الجلود قبل توجيهها الى مشاغل الاسكافيين.

9- صناعة الخزف والأدوات الفخارية (Ceramique et Poterie) اشتهر بها خاصة اندلسيو شرشال الذين كانوا يصنعون أنواعا مختلفة من الجرار (Vases) والادوات المنزلية الفخارية التي كانت تختلف عما كان موجودا بالبلاد وذلك بصلابة فخارها وتنوع نقوشها وكثرة رسومها. أما اندلسيو البليدة والجزائر فقد عرفوا هم الآخرون بصناعة نوع جيد من الخزف المزجج بالطلاء (ceramique de l'email) في شكل بلاطات صغيرة مربعة مكسوة بالطلاء (emaillée) تعرف بالزليج (Zelidj) ويستعمل عادة في تغطية المنازل وكساء الجدران وتزيين العيون العامة ومداخل البناءات.

وبالإضافة الى هذه الصنائع فإن الأندلسيين بمقاطعة الجزائر كان لهم دور مهم في نشاطات أخرى فقد شاركوا الصناع المحليين في بناء السفن بترسانة الجزائر وشرشال، وفي معالجة الألياف (Vannerie et sparteries) لصنع السلال والأفرشة والأكياس والحبال وفي تصبير الأسماك وطحن الحبوب بواسطة المطاحن المائية التي اقيمت خارج المدن على مجاري المياه ومن أهمها ماكان موجودا خارج الجزائر وبفحوص مدينة البليدة فقد أمكن لبعض الصناع الموركسيين بهذه المدينة أن يقيموا عدة مطاحن على ساقية وادي سيدي محمد الكبير تقدر طاقتها اليومية حسب تقديرات الفرنسيين عند احتلالهم للمدينة مما لا يقل عن ألف كيس من الدقيق.

د- دور الأندلسيين الموركسيين في الحياة الاجتماعية لمقاطعة الجزائر:

بغض النظر عن التصنيف المتعارف عليه عند الكتاب الغربيين من مدجنين (Mudajers) خضعوا لحكم النصارى باسبانيا ولم يرغموا على التنصير ولم يتعرضوا لطمس هويتهم الإسلامية أو موركسيين

القصري قبل طردهم خارج اسبانيا باعتبارهم (Moriscos) تعرضوا إلى عمليات الإدماج والتمسيح. هراطقة أو مسيحيين رديئين (Mauvais Chrétiens)، فإن الأندلسيين الموركسيين الذين استقروا بمقاطعة الجزائر «دار السلطان» كانت غالبيتهم تتألف من الفلاحين والتجار واصحاب المهن والصناع وذلك عكس العناصر الأندلسية التي هاجرت الى الجزائر في الفترة السابقة قبل حلول القرن الخامس عشر الميلادي والتي كان أغلب افرادها ينتمون الى طبقات مثقفة وثرية.

وهذا ما يسمح لنا بتصنيفهم اجتماعيا حسب الواقع الذي كانوا يعيشونه في موطنهم الجديد بمقاطعة الجزائر في القرنين السادس عشر والسابع عشر والذي جعل منهم ثلاث فئات متميزة حسب نشاطها الإقتصادي ومكانتها الإجتماعية، وهي فئة الحظر (Citadin) المقمين بالمدن من تجار وأصحاب مهن وحرف وموظفين وجنود وعلماء وفقهاء وفئة البحارين (Maraichers) المقيمين بفحوص مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال يشتغلون في البساتين والحدائق ويهتمون خاصة بزراعة الخضار والأشجار المثمرة وفئة الفلاحين (Agriculteurs) المنتشرين عبر سهل متيجة ومرتفعات الساحل وسفوح الأطلس. على أن تلاحم العناصر الأندلسية الموريسكية فيما بينها رغم اختلاف مهنها وتباين مكانتها الاجتماعية حال دون دراستها اجتماعيا مع العلم أن الإشارات الواردة في مختلف المصادر مع نهاية القرن السادس عشر تكاد تخلو من التأكيد على تمايز فئات العنصر الاندلسي الموريسكي داخل المدن وخارجها، وهذا ما يجعلنا ننظر الى الأندلسيين الموريسكيين على أنهم مجموعة واحدة يغلب عليها الطابع الحظري وان اختلف افرادها وتعددت نشاطاتهم، فالكل معتد بأصوله الأندلسية متحفظ في علاقاته وتعامله مع باقي السكان، بل أن بعض الأندلسيين الموريسكيين حسبما ورد في بعض الوثائق كان يعتبر نفسه في دار هجرة مؤقتة، وقد ظل هذا الشعور يراود احفادهم لعدة أجيال ولعل هذا ما جعل سكان القليعة ولا سيما البليدة ينظرون الى سكان متيجة على أنهم غرباء عنهم وقد عبروا عن ذلك باتخاذهم موقفا متحفظا منهم قد يفهم منه نوع من الترفع عن باقي السكان الآخرين.

ولعل أهم ما يميز الأندلسيين عن باقي السكان بمقاطعة الجزائر هي وضعيتهم الميسورة ومكانتهم المتميزة فأغلبهم يعتبر من الطبقة الغنية من المجتمع لإحتكارهم للصناعات والمهن المربحة وسيطرتهم على مقاليد التجارة وتوليهم إستخلاص الضرائب وعتق الأسرى وممارستهم الجهاد البحري فلم تزاحمهم في ذلك الاّ بعض العائلات الحضرية وجماعة اليهود وقد ساعدهم على الإحتفاظ بهذه المكانة الخاصة تأييدهم للدولة ومصاهرتهم للحكام الأتراك وبعض موظفي الديوان الكبار، فقد تزوج العديد من الباشوات والرياس والضباط من أندلسيات موريسكيات نذكر منهم عائشة بنت الحاج بشير باشا التي تزوجت القائد داود، ولعل هذا الوضع هو الذي جعل الأندلسيون الموريسكيين يشكلون طائفة يمكن أن نطلق عليها تجاوزا طبقة برجوازية في مجتمع مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال، وقد ساعدت هذه الوضعية الميسورة لجماعة الموريسكيين الأندلسيين من أن يساهموا في مداخيل الخزينة مثل جماعة الموريسكيين بشرشال التي كانت تتعهد لحاكم الجزائر سنويا بجباية لا تقل عن 60000 دوقة، بعد أن أصبح جل أفرادها يمتلكوا العديد من العقارات داخل المدن وخارجها. وهذا ما تؤكده لنا الوثائق الخاصة ببعض أثرياء الأندلسيين والذين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر بعض الأشخاص بمدينة الجزائر اعتمادا على وثائق الأرشيف

الجزائري وهم ابن علي الأندلسي وحسن بن سعيد الأندلسي وأحمد بن سعيد الأندلسي وحطاب بن محمد الأندلسي ومحمد بن حفص عمر الأندلسي ومحمد بن أحمد الأندلسي وعلي بن حسن الأندلسي وأبو عبد الله محمد الأندلسي وغيرهم.

ومما يلاحظ أن العنصر الأندلسي الموريسكي ارتبط في نشاطه التجاري ومعاملاته الإجتماعية بجماعات اليهود السافرديم التي هاجرت معهم الى مقاطعة الجزائر من جراء الإضطهاد الذي تعرضت له مع المسلمين، فقد تكاثر عددهم بحيث بلغ في مدينة الجزائر وحدها في القرن السادس عشر حوالي 8000 نسمة اندمج أغلبهم في المجتمع واتخذ من اللسان العربي لغة له ونشط في مختلف المهن والصنائع ذات المردود المادي المرتفع مثل تجارة الجملة والصرفة وصناعة الحلي بحيث لم يعد يميزهم عن غيرهم من الأندلسيين الموريسكيين سوى شعائر معتقدهم اليهودي والتزامهم بلباس ذو لون داكن وامتناعهم عن ركوب الخيل وحمل السلاح نظرا لكونهم من أهل الذمة.

وقد ساعد على إندماج جماعات اليهود الأندلسيين بمقاطعة الجزائر وجود رجال دين بينهم نجحوا في خلق علاقات بينهم وبين باقي السكان المسلمين مثل الربي إسحاق بن شيشات برفات المعروف بريباش Isaac Ben sheshet-Barfat dit "Ribbach" (ت 1408) والربي سيمون بن شماك دوران المدعو راشباش "Simon ben Zémah Duran dit "Rashbach (ت 1442) ويوسف طوبية (ت 1625) وقابيسون Gabisson (ت 1698) وغيرهم.

هذا ويبرز التأثير الإجتماعي العنصر الأندلسي الموريسكي بمقاطعة الجزائر فيما يتصل خاصة بالتقاليد، فقد حافظ الأندلسيون الموريسكيون على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات أو في الأفراح وطرق الطهي ونوعية اللباس والأكل، فقد أعطوا مظاهر مميزة للإحتفال بالاعياد والمواسم الدينية مثل المولد الشريف وليلة القدر وعاشوراء وعيد الأضحى «العيد الكبير» وعيد الفطر «العيد الصغير» فقد كانوا يحرصون على ترديد الأناشيد والقصائد والمدائح الدينية في هذه المواسم الدينية، كما كانوا مولعين بالغناء وعزف الموسيقى في الأفراح عند الولادة والختان والخطبة والزفاف، فقد كانت الأجواق الأندلسية تعزف الموشحات والأغاني التي كان يتخللها دق الطبول وضرب النوبة وعزف الزرنة على نغمة «داني داني» التي ظلت معروفة حتى اليوم في الوسط الجزائري، واثناء ذلك كانت تقدم مختلف أنواع الأطعمة والحلويات التي امتزجت فيها التقاليد الأندلسية بالأذواق التركية والعربية والاوربية التي أتى بها الأتراك وحافظ عليها الحضر وأدخلها الأسرى المسيحيون، وهذا ما جعل تقاليد الأطعمة خاصة تتميز بذوق اندلسي تركي ظلت تحافظ عليه العائلات الحضرية الجزائرية من أندلسيين ويهود حتى حلول الفرنسيين بالجزائر الذين عملوا على طمس تلك التقاليد المتوارثة ومحو آثارها.

أما الملابس، فقد نجح الاندلسيون الموريسكيون في فرض اذواقهم على غالبية سكان مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال حيث كان جهاز المرأة يتألف من عدة ملابس نذكر منها القمجة (chemisette) والطوق (Cols) والفستان (Cotillon) ومحرمة (Foulard) والشمبير والفريملة والجابادولي والصارمة والقفطان والصدرية والمحيرمة (Mouchoir de main) والقرباطة

(Ctavatt) والبنيقة (bonnet) والملاية (Grand-toile) والبليغة و الريحيّة وغيرها... وقد تميزت من هذه الملابس واصبحت لها شهرة القندورة التي تعرف بالغليلة وهي ذات اكمام واسعة مطروزة بالشبيكة الفضية والذهبية على شكل صفين متوازيين تلتصق بها الأقفال الذهبية وهي عادة تشد على الجسم بأحزمة حريرية مطرّزة ومرصعة بقطع الذهب الخالص بحيث تزيد في جمال المرأة.

أما ما يخص جانب اللغة فإن الأندلسيين نشروا في الوسط الحضري بالجزائر لهجة «أهل الأندلس» التي كانت شائعة بغرناطة وهي تتميز بمفرداتها اللطيفة وعبارتها الرقيقة والتي غالبا ما ينطق القاف فيها ألفا، فهي عكس لهجة باقي السكان الآخرين الذين يغلب عليها الطابع البدوي. على أن إنكماش العنصر الأندلسي المورسكي بعد ذلك، جعل هذه اللهجة يغلب عليها نطق أهالي الريف على المدن مع الإحتلال الفرنسي، ولم تعد آثارها باقية سوى في نطق أهالي شرشال في القرن الماضي.

وقد استطاع الأندلسيون منذ أواخر القرن الخامس عشر نشر اللسان العربي الدارج في المناطق الجبلية القريبة من شرشال والبليدة خاصة حيث أصبحت غالبية السكان تستعمل بجانب اللهجة البربرية المحلية العربية الدارجة في مناطق الشنوة وبني مناصر وبني صالح وغيرها، هذا في الوقت الذي عمل فيه المورسكيون في مدينة الجزائر خاصة على شيوع لغة الفرنكا (Langua Franca) التي تغلب عليها الكلمات الاسبانية، وذلك لكون العديد من العائلات المورسكية في القرن السادس عشر كانت تميل الى استعمال القشتالية (اللغة الاسبانية) وقد ظلت كذلك لفترة طويلة، مما جعل التعابير الإسبانية شائعة لدى العديد من الأسر المورسكية، وهذا ما أكده بعض الرحالة والقناصل ورجال الدين الأوروبيين الذين تعرفوا على الجزائر أثناء القرن الثامن عشر مثل لوجي دي تاسي Laugier de Tassy (1725) والطبيب شاو D Shaw (1732) وكوندامين Condamine (1731) وفاليار Vallière (1781) وغيرهم.

د- دور الأندلسيين المورسكيين في الحياة الثقافية والفنية بمقاطعة الجزائر:

لم يقتصر العنصر المورسكي الأندلسي في التأثير على النشاط الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية بمقاطعة الجزائر إذ كان له دور مهم في ميدان التعليم ومجال الفن ونمط العمارة.

فمن حيث الدعوة الدينية نلاحظ أن توافد الأندلسيين المورسكيين الى البلاد الجزائرية وخاصة اقليم الجزائر «دار السلطان» عمل على تعميق الاحساس بالانتماء الحضاري العربي الاسلامي لدى السكان والذي ساعد على توطيد وتدعيم مكانة الفقهاء في المدن وزيادة نفوذ المرابطين بالأرياف، وذلك منذ فترة متقدمة تعود اساسا الى مبادرات علماء وصلحاء أهل الأندلس بالمغرب الأوسط كان في طليعتهم الولي الغوث الشيخ شعيب بن الحسين الأشبيلي الأندلسي المعروف بأبي مدين المتوفي بتلمسان (594هـ/1197م).

هذا ورغم أن الهجرة الأندلسية المورسكية المتأخرة في القرن السادس عشر والتاسع عشر لم تكن غالبية افرادها ذوي معارف ثقافية تضاهي مستوى الهجرات السابقة من حواضر الأندلس الكبرى مثل

قرطبة واشبيلية وغيرها، إلاّ أنها ضمت من بين افرادها بعض الصلحاء والفقهاء الذين استطاعوا بإخلاصهم وتفانيهم وتعاونهم مع الفقهاء والمرابطين من أهل البلاد مثل سيدي احمد بن يوسف دفين مليانة سنة 1524/951 أن يجندوا السكان الى الدعوة الى الجهاد لطرد النصارى من السواحل، وهذا ما سمح لهم بأن يكونوا عونا للأخوين عروج وخير الدين في توحيد البلاد الجزائرية وربطها بالدولة العثمانية، وسندا للحكام العثمانيين من بعدهم بالجزائر.

ويعود هذا الموقف الأندلسي المورسكي المؤيد للعثمانيين والمعادي لخطط الاسبان بالمغرب الأوسط الى شعورهم بالظلم وتأثرهم بضياع وطنهم الأصلي اسبانيا وطردهم منه وتشريدهم وتتبعهم بسواحل بلاد المغرب لكونهم مسلمين، وهذا مازاد في حقدهم وكراهيتهم للإسبان، وقد لاحظ ذلك العديد من الكتاب الأوروبيين في القرن السادس عشر الذين اعتبروا العناصر المورسكية بالجزائر أشد وأقسى اعداء المسيحيين وقد أورده كارداباك في كتابه المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون بأن هؤلاء الكتاب كانوا مقتنعين بأن الأندلسيين المورسكيين لايمكن ان يشفى غليلهم من الاسبانيين، وليس من السهل تهدئة عطشهم لإراقة الدم المسيحي، بل ذهب الأمر بأحد منهم وهو هايدو عندما نقل روايات الأسرى المسيحيين بالجزائر الى القول بأن: «كل الأماكن والمنازل والشوارع والحقول والبساتين بالجزائر حيث يوجد الأندلسيون هي في الواقع المسكن الطبيعي للشيطان إذ لا تسمع فيها إلا الضرب والتعذيب والآلام المتكررة والعديدة.. لقتل المسيحيين...»

هذا ولم يقتصر دور صلحاء وعلماء الأندلسيين من إثارة الحماس ودعوة الناس الى الجهاد وتوحيدهم للتصدي للنصارى بل تعداه الى الأعمال الخيرية والخدمات التعليمية فقد تفانوا في رعاية شؤون السكان وعملوا على إنشاء الزوايا ومعاهد العلم، وهذا ما زاد من تقدير السكان لهم واكسبهم اتباعا من مختلف فئآت السكان فأصبح بذلك الولي الأندلسي سيدي فرج محل تقدير، وتحول ضريحه بعد موته الى مزار ونال سيدي يعقوب الشريف الزبوج القرطبي حظوة كبيرة لدى العامة عندما استقر بسفوح الأطلس البليدي بعد هجرته من الأندلس وانتقاله من مراكش الى الحج، فتحول ضريحه الى مكان للزيارة والتبرك بعد أن وافته المنية بمقره بحوش الشفة حوالي سنة 927هـ-1521م. وكذلك سيدي أحمد الكبير الأندلسي الذي استقر بمواطن قبيله أولاد سلطان وتزوج منهم فتنازلوا له عن نصف أراضيهم اكراما له فأنشأ عليها مدينة البليدة وأقر بها المهاجرين الأندلسيين الوافدين على الجزائر، وقد ظل طيلة حياته مؤيدا للأتراك ومناصرا لخير الدين بربروسة، وبعد وفاته سنة 944ه 1540م. ظلت ذكراه عالقة بأذهان العامة، وأصبح عقبه محل إكبار واجلال من قبل سكان البليدة ونواحيها، ويماثله في ذلك سيدي علي بن مبارك الأندلسي التي التف حوله المدجنون الاندلسيون بالقليعة واصبحت له الكلمة المسموعة في مناطق متيجة الغربية أثناء حياته وبعد موته (سنة 1040ه. 1631م) وقد ذهبت العامة في تعلقها به الى حد نسج الكرامات حوله مثل اعتقادهم بأن سيدي علي مبارك كان يتحول الى أسد عندما يكون غير راضي عن تصرفات أحد اتباعه هذا وقد ظلت سلالة هذا الولي الاندلسي تحظى بالتقدير لدى السكان، وقد لاحظ الفرنسيون ذلك عندما احتلوا القليعة، فقد التف سكان منطقة متيجة والأطلس البليدي حول أحد احفاد سيدي علي بن مبارك وهو الحاج محي الدين آغا الذي ألقى القائد الفرنسي القبض عليه مما اضطر

السلطات الفرنسية فيما بعد الى اطلاق سراحه (1832) حسبما تؤكده العديد من مراسلات سكان القليعة مع الحاكم الفرنسي في هذا الشأن.

تبرز خاصة مساهمة ذوي الصلاح والعلم بين الجماعة الأندلسية الموركسية في مقاطعة الجزائر فيما أسسوه من زوايا وما أنشاؤه من معاهد العلم ذات المستوى العالي والتي كانت مقصد الطلاب من مختلف الجهات لتتلقى العلوم اللغوية والدينية التقليدية وبعض المعارف العصرية كالحساب والفلك والمنطق والطبيعة والتاريخ وغيرها حسبما يفهم من العديد من إجازات انهاء الدروس بهذه المعاهد.

ومن اشهر هذه الزوايا والمعاهد الآندلسية بمقاطعة الجزائر.

(1) زاوية أهل الأندلس الملحقة بالمسجد الذي أقامه بعض صلحاء الأندلس بحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر، وقد ظلت هذه الزوايا منذ انشائها سنة 1639 مقصد العديد من الطلبة ولم تتوقف عن مهمتها التعليمية حتى تعرضت للإهمال و فتهدم قسما منها في السنوات الأولى للإحتلال الفرنسي للجزائر (1843)، وقد اشتهر من رجالاتها الذين كانوا يشرفون على مختلف الخدمات الاجتماعية والثقافية بها حسب وثائق المحاكم الجزائرية كل من محمد بن محمد الآبلي ومحمد العنجدون ومحمد السميع وبن علي الاندلسي ومحمد بن بكير ومحمد بن علي الأندلسي وعلي بن علي الأندلسي والحاج أحمد بن قاسم ويوسف بن سلمان وابن الحاج أحمد بن جعفر وغيرهم كثيرون. فقد عمل هؤلاء الفقهاء والوكلاء والنظار الأندلسيين على رعاية الأوقاف العديدة للأندلسيين وتنمية مداخلها داخل وخارج مدينة الجزائر حتى بلغت حسب سجلات الارشيف الجزائري (دفاتر البايليك) في أواخر القرن التاسع عشر (1224-1809) مالا يقل عن 142 وقفا منها 75 كانت تتقاسمها مؤسسة الأندلسيين مع موسسة الحرمين ومع عامة الناس.

(2) زاوية سيدي احمد الكبير الاندلسي بالبليدة التي تخرجت منها أفواج عديدة من طلبة العلم أغلبهم من نواحي متيجة وجهات الأطلس البليدي وخاصة من بني صالح وبني خليل.

(3) زاوية سيدي علي بن مبارك بالقليعة التي ظلت منذ تأسيسها على يد الولي الذي تنتسب اليه في أوائل القرن السابع عشر تقدم التعليم وتوفر الايواء للطلبة خاصة وهذا ما أكسبها مكانة خاصة بين السكان في تلك الجهات، وجعلها ملجأ للهاربين من بطش الحكام.

هذا بالإضافة الى الزوايا الآخرى التي عمل بها الأندلسيون والتي كانت تعلم القرآن ومبادىء اللغة والفقه بأوطان بني جعاد وبني خليل وسماته وڤرومة، كما ساهم الأندلسيون أيضا في نشاط الزوايا الكبرى ببلاد القبائل مثل زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية وزاوية سيدي عبد الرحمن بن سعيد اليلولي (ت 1105هـ- 1694م) حيث كانت مقصد الفقهاء الأندلسيين وملجأ الصالحين منهم.

أما في ميدان الأدب ومجال الموسيقى والغناء، فقد طبع الأندلسيون الموركسيون الحياة الفنية بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) بطابع خاص مميز، فقد شاع نظم الموشحات وتلحين الأغاني التي حافظت على بنائها اللغوي وطريقة انشادها حسب تقاليدها الآندلسية المتوارثة والتي تعود بدايتها كما هو معروف الى النصف الأول من القرن الرابع الهجري على يد ابن عبد ربه في عهد عبد الرحمن الناصر وقبل أن تكتمل

نماذجها في فترة لاحقة على يد اقطاب الموشحات مثل بن زهر ولسان الدين ابن الخطيب وبن زمرك وغيرهم.

لقد اعترى الموشحات الأندلسية بموطنها الجديد بمقاطعة الجزائر ضعف البناء اللغوي وتراجع في المستوى الشعري فغلبت على مقاطعها الدارجة أو العامية ودخلتها تعبيرات لغة الفرنكا ذات الأصول الإسبانية. إلاّ انها مع ذلك ظلت وفية لتقاليد المورسكيين، معبرة بصدق عن أحاسيسهم وشعورهم وحنينهم الى وطنهم الأصلي حتى انها أصبحت بتوارثها وانتقالها جيلا عن جيل أقرب الى تلاوة التراتيل أكثر منها الى تلحين وانشاد القصائد، فهي مع غموض لغتها الاّ أنها ظلت تحترم في أغلبها البناء التقليدي الذي كان يتألف خاصة من غصان فتستهل بمطالع قد تصبح اقفالا اذا ترددت في الغناء وقد يشتمل الدور فيها على ثلاثة أو خمسة اجزاء بين عدة اقفال قبل أن تنتهي بخرجة تعزف بألحان خفيفة وبطريقة مميزة، وهي ببنائها هذا قد تتعرض لمواضيع الغزل وقد تتناول وصف الطبيعة بالإضافةإلى المولوديات والإخوانيات، فهي بذلك تعكس بحق النموذج الأندلسي المغربي المتوارث والذي حافظت عليها الأجواق المحلية بالجزائر والبليدة وشرشال حتى الآن.

غلب على الموشحات قصائد المدح «المولوديات» والتي مالت إلى السجع والمحسنات البديعية واختصت بذكر صفات ومآثر الرسول (ص)، وقد اشتهر في ذلك ابو العباس أحمد بن عمار الجزائري الأندلسي الأصل مفتي المالكية (1766م) وصاحب لواء النصر في قلائد العصر ونحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب،الذي عرف بقصائده اللطيفة في الأخوانيات والمولوديات والتي نورد منها على سبيل المثال مطلع قصيدة نظمها في مولد النبي (ص) (سنة 1166هـ/1753م) مطلعها:

يا نسيما بات من زهر الربا تقتني الركبان.

احملن مني سلاما طيبا لأهيل البان.

ويماثله في ذلك عمر بن محمد بن سيدي علي الأندلسي قاضي الحنفية (1163ه/1749م) الذي كانت له مساهمة متميزة في المدح وهذا ما جعل تلميذه بن عمار يشير إليه في احدى قصائده بقوله:

قد كان باب النظم قبلك مغلقا ففتحته يافاتح الأبواب.

ونفس المدائح «المولوديات» اشتهر بها العالم الفقيه الآندلسي محمد بن الشاهد المتوفي سنة (1207ه/1793م) والذي عرف بترديده لموشحات لابن سهيل وبن زهر ولسان الدين بن الخطيب، هذه الموشحات التي كانت تنشد على الآلات الموسيقية في المواسم الدينية وفي الحفلات والسهرات المنزلية حيث كانت تجتمع الأسر الاندلسية على ضوء الشموع للتسلي والترويح عن النفس بالإنصات الى انشاد المدائح وترديد القصائد الدينية والآغاني التقليدية المتوارثة، هذا ولقد مهر سكان دلس وشرشال وبعض الأسر من الجزائر والبليدة والقليعة بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية منها كالعود (الكويترا) والرباب والقانون والكامنجا أو الصوتية كالقصبة والزرنة والغايطة أو الإيقاعية كالطبل والصنوج والدف والطبيبلة والطار والدربكة وغيرها التي حسن بعض أنواعها الصناع الآندلسيون مثل القصبة والبندير، وجلبوا بعضها من مواطنهم الأصلية بالأندلس مثل الكامنجا والكويترا خاصة.

ويرتبط بهذه الحياة الفنية التي ميزت حياة الأندلسيين المورسكيين، نمط وأسلوب العمارة الذي أدخلوه الى مقاطعة الجزائر، فقد أصبحت أماكن تجمعهم بمدن وفحوص الجزائر والبليدة وشرشال والقليعة ودلس تتميز بطابعها العمراني الخاص، الذي أكسبها منظرا لطيفا وهندسة مميزة، فالمنازل في اغلبها تتألف من طابق أرضي يعتمد على أعمدة خشبية ومقام بالآجر والطين المعالج، وقد تستعمل فيه الحجارة كما هو الحال في منازل دلس وشرشال،وتفتح بيوته المستطيلة التي تنعدم فيها التهوية الخارجية على فناء صغير تحف به الأقواس لا يخلو وسطه من عين ماء أو بئر خاص وبعض أشجار البرتقال والليمون والكرمة، هذا وفي بعض الأحيان يضاف للطابق الآرضي طابق آخر علوي كما هو الشأن بمدينة الجزائر والجزء العلوي للبليدة القريب من الجبل وهو في الغالب مكان للراحة، وقد توجد في بعض المنازل نوافذ تطل على الأزقة، وهي غالبا ما تكون صغيرة محمية بالشبابيك التي تخفي الزخارف والمجصصات والتخاريم والنقوش التي تغطي الجدران والسقوف وقد تغطي كذلك أرضية الغرف بالزليج ذو الأشكال الهندسية اللطيفة في بعض المنازل.

أما المنظر الخارجي للمنازل فهو يتميز خاصة بطلائه الأبيض الناصع بمادة الجير الذي اشتهرت بها مدينة الجزائر التي عرفت «ببلد الجير» هذا ويستخدم القرميد الأجوف Tuiles Crues الأحمر أو المائل الى الزرقة في تغطية المنازل كما هو الحال في مدن البليدة وشرشال والقليعة ودلس، إذ لم تستعمل السطوح التي كانت تميز الطابع العمراني التقليدي المحلي بشكل واسع من طرف الآندلسيين المورسكيين الاّ في بعض منازل الجزائر لملاءمتها للوضع الجغرافي المنحدر الذي يسمح لها أن تطل على البحر مباشرة.

هـ- انكماش دور الأندلسيين المورسكيين واختفاء تأثيرهم في مقاطعة الجزائر:

على أن هذه المساهمة البارزة في مختلف أوجه الحياة للعنصر الأندلسي المورسكي بمقاطعة الجزائر طيلة القرن السادس عشر والسابع عشر مالبث أن ضعف تأثيرها وانحصرت مجالات نشاطها مع مستهل القرن الثامن عشر، قبل أن يختفي ويتلاشى أثرها باندماج العنصر الأندلسي المورسكي في بقية السكان مع مطلع القرن التاسع عشر، فالكتابات التي اهتمت بالوضع الداخلي للجزائر في القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر تذكر تلاشي الجماعة الأندلسية المورسكية في جميع مقاطعة الجزائر مثل مذكرات القنصل فاليار (Consul vallière) (1781) وتقاييد المستشرق فانتور دو بارادي ven-ture de Paradis (1788 - 1890) وتقارير الضابط بوتان Boutin (1808)فهذه المصادر لم تعد تذكر الاندلسيين على أنهم عنصر متميز في المدن، فهم كغيرهم من سكان المدن البلدية يحملون اسم المور (Maures) هذا في الوقت الذي اصبح فيه الإهتمام منصبا على جماعة الأتراك والكراغلة والبرانية.كما أن دفاتر البايليك بالأرشيف الجزائري يستنتج مما تضمنته من معلومات على اضمحلال الجماعة الاندلسية المورسكية في مجتمع مقاطعة الجزائر، فلم تعد تشير الاإلى سبعين فردا من الاندلسيين المنتفعين بأوقاف مؤسسة الأندلس.

ومما يلاحظ أن انكماش العنصر الأندلسي المورسكي ارتبط بالظروف الداخلية والضغوط الخارجية، ولعل أهم العوامل التي حدت من حيوية الأندلسيين واضعفت تأثيرهم ودفعتهم الى الاندماج في بعض الطوائف هو استبداد بعض الحكام وقادة الجيش وعملهم على جعل الإدارة في خدمة التنظيم العسكري (المتمثل في فرق الوجاق) والتي حدت من امكانية التطور الإقتصادي واعاقت العلاقات الإجتماعية القائمة على تشجيع العمل المنتج والمبادرة الفردية للجماعة الأندلسيين. يضاف الى ذلك انغلاق الطائفة التركية على نفسها ومنافسة جماعة الكراغلة والبلدية وضغط القبائل الجبلية والجماعات الريفية على الوسط الحضري بالمدن حيث يتركز العنصر الأندلسي المورسكي. فالمضايقات التي تعرض لها الأندلسيون المورسكيون منذ حلولهم بمقاطعة الجزائر، وحتى قبل التحاق الجزائر بالدولة العثمانية أثرت سلبا في موقف الأندلسيين، وهذا ما يستنتج من بعض الآحداث، منها على سبيل المثال أن جماعات من المورسكيين المستقرة حديثا بمدينة الجزائر حملت مسؤولية الجفاف الذي حل بالجزائر ومنطقتها سنة 1512 وتذهب بعض الروايات الى حد القول بأن متولي الشرطة بمدينة الجزائر قد اعطى لجماعة الأندلسيين مدة ثلاثة ايام لمغادرة المدينة ولم يتردد في قتل بعض المرضى والفقراء منهم الذين لم يستطيعوا الخروج من المدينة في المدة المحددة لذلك. ولعل مثل هذه التصرفات هي التي دفعت بعض الجماعات من الأندلسيين إلى التطلع في نظرتهم للملوك السعديين بالمغرب. فحسب المعلومات التي اوردها بيدرو هرنا نديز Pedro Hernandez أن جماعة من اهالي بلنسية وأراجون بالجزائر ذهب بهم العداء للحكام الأتراك الى طلب الإنظمام تحت حكم الشيخ المهدي السعدي وقد طلبوا منه أن يرسل لهم ابنه مؤكدين له انهم على استعداد لتأييده ضد الأتراك، وعلى كل فإن مثل هذه المواقف ظلت محصورة في بعض الأشخاص لأن غالبية الأندلسيين المورسكيين كانت تعتبر نفسها حليفا طبيعيا لحكام الجزائر، لاسيما وأن جل هؤلاء الحكام كانوا طيلة القرن السادس والسابع عشر يفضلون التعامل مع الأندلسيين المورسكيين ويثقون بهم ويخصونهم بالإمتيازات قبل أن يضعف تأثير العنصر الأندلسي.

يضاف الى هذه الأوضاع التي حدت من تطور الجماعة الأندلسية بالجزائر تفوق الأساطيل الأوروبية على القوة البحرية الجزائرية الذي لم يسمح بأي اتصال مباشر مع اسبانيا خارج العلاقات الدبلوماسية والتجارية الضيقة، قد يحافظ على صلة الآندلسيين المورسكيين بمواطنيهم الأولى، وقد صاحب ذلك انكماش عمران المدن وانحصار فحوصها وفقر الريف من سكانه من جراء ظهور الآوبئة وبسبب انعدام العناية الصحية وانخفاض مستوى المعيشة الذي زاد من حدته تناقص الانتاج وتكرر المجاعات بمقاطعة الجزائر ونتج عن ذلك تقلص سكان مدينة الجزائر الى أقل من الثلث، فلم يعد يتجاوزون حسب أكثر الإحتمالات تواردا الخمسين ألفا وقد كانوا في أواخر القرن السادس عشر يقدرون بحوالي المائة والعشرين ألف نسمة. أما البليدة فقد عرفت هي الأخرى نفس الظاهرة، فتناقص سكانها واندمجت العديد من العائلات الأندلسية في بقية الطوئف ولم تعد تضم سوى 800 مسكن في مطلع القرن الثامن عشر قبل أن تتعرض للتدمير بفعل زلزال عام 1825 الذي انقص سكانها فلم يعد يتجاوزون عدة آلاف، ونفس الظاهرة عرفتها مدينة القليعة التي فقدت هي الأخرى أكثرية سكانها ، فلم يعد مجموع الأندلسيين بها

مع من انضم إليهم من الاتراك والكراغلة متقاعدين أو مبعدين عن مدينة الجزائر يتجاوزون على الأرجح 3500 نسمة في أواخر القرن الثامن عشر، هلك أكثر من نصفهم في زلزال 1825، وهذا ما جعل سكانها عشية الإحتلال الفرنسي (1830) لا يتجاوزون حسب أغلبية الروايات 1800 نسمة.أما شرشال فهي الأخرى قد انكمش عمرانها وتضررت تجارتها واضمحلت صناعة الأقمشة بها ولم يعد سكانها الأندلسيون ومن انضم اليهم من الأهالي يهتمون بتربية دودة الحرير فقد فضلوا استغلال الفحوص الملاصقة لأسوارها والإنزواء داخل منازلها التي لم تعد تضم مع مطلع القرن التاسع عشر 3000 أو 4000 نسمة على الأرجح بعد أن تضرروا من مهاجمة القبائل الجبلية القريبة واصبحوا يعانون من استبداد حكام الجزائر، وغير بعيد عن شرشال خلت برشك الأندلسية من سكانها وتحولت الى انقاض فلم يجد الطبيب الأنكليزي شاو (D Shaw) الذي تعرف على مكانها سنة 1725 اي منزل قائم بها. وقد كانت في القرن السادس عشر تضم العديد من السكان داخل أسوارها التي يزيد طولها عن ميل ونصف وفي الطريق الشرقي لمقاطعة الجزائر عرفت دلس الأندلسية اضمحلالا باكرا بفعل انتقال العديد من سكانها الى الجزائر تحت ضغط قبائل جرجرة وتهديدات الأساطيل الأوربية، فوصفها التامقروتي في رحلته عند مروره بها (سنة 1591) بأنها «مخربة تماما ويسكنها سكان قليلون فقراء»، وقد ظلت كذلك، فلم يتجاوز سكانها في مطلع القرن التاسع عشر 600 نسمة، يعيشون على صيد الأسماك والإشتغال بتجارة الحبوب والزيت مع مدينة الجزائر.

وبفعل هذا الإنكماش البشري والإضمحلال الإقتصادي طويت صفحة زاخرة كتبها العنصرالأندلسي المورسكي بمقاطعة الجزائر بما قام به من نشاط اقتصادي وإسهام فني وثقافي وتأثير اجتماعي طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادين وكان إضافة أصيلة في إغناء التراث التاريخي للشعب الجزائري الذي تميز بتقبله للمساهمات الإيجابية وبمقدرته على تمثلها والإنتفاع بها شأن الأمم الحية والشعوب الأصلية.

المراجع المعتمدة في البحث

أ- المراجع العربية

1- الأرشيف الوطني الجزائر، سجلات البايليك، دفاتر بيت المال ووثائق المحاكم الشرعية.

2- ابن عمار، أحمد، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب، الجزائر، فوتانه 1902.

3- التامقروتي، أبو الحسن علي، النفحة المسكية في السفارة التركية، نشر هنري دوكاستري باريس 1929.

4- رزوق، محمد، الأندلسيون وهجرتهم الى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، الدار البيضاء، 1989.

5- سعد الله، ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري (16-20م) الجزء الأول، الجزائر 1981.

6- سعيدوني، ناصر الدين، الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهمتها العمرانية ونشاطها الإقتصادي ووضعها الإجتماعي، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر «العهد العثماني» الجزء الأول، الجزائر 1984 ص ص 127- 147.

7- سعيدوني، ناصر الدين أوقاف الأندلسيين بالجزائر من خلال الأرشيف الجزائري، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء الثاني، الجزائر، 1988 ص، ص، 43- 63.

8- الشويحات، عبد الله بن الحاج يوسف، قانون أسواق الجزائر. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 670.

9- عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ط3، القاهرة 1966.

10- عبد القادر، نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، نشريات كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة 1965.

11- كاردياك، لوي، المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون، المجابهة الجدلية (1492- 1640) ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية الإفريقية، تونس 1983.

12- مجهول كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر 1934

ب- المراجع الأجنبية:

1- Anonyme, Blida par un de ses enfants, légendes, Blida1876.

2-Arvirux (Le chevalier Ld) Mémoire 1646.1690,TV Paris 1735.

3-Ayoun (R)et Cochen(B),LES Juifs d'Algerie deux mille ans d'histoire judaique,Paris 1855.

4- Barbier (J) Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Paris 1855.

5-Baudens(D),Relation d'une expédition de Médéa publiée par V. Demontès, par 1920.

6) Baudens (D) ,Relation d'une expédition de Médéa, publiée par V.Demontés, par 1920

7- Bencheneb (S), Un contrat de mariage algérois du début XVIII siécle, in Annales .de l'insthtut d'études oriantales d'Alger TXIII,1955.pp98.117.124.

.8-Berbrugger (A),Le Fort de cherchal,in Revue Africaine T9-1865pp.

9- Bernard (V), Description d'Alger et de ses environs Alger, 1867.

10- Bernard (V), Indicateur général de l'Algérie, Alger, 1867.

11- Berque (A), Art musulman en Algérie in VI cahiers du centenaire deL'Algérie, 1930, pp 113- 119.

12- Berque (J) L'Algérie terre d'art et d'histoire, Alger 1936.

13- Berthezène (Le Baron) Dix-huit mois à Alger, Montpellier, 1934.

14- Brahimi (D) Quelques jugements sur les maures andalous dans lesRégences turques au XVIII siècle, in Revue d'histoire et civilisation du Maghreb N9. 1970 pp 39-51.

15- Braudel (F) La Méditerranée et le monde méditerranéen àl'époque de philippe II, TII, 8eme ed Paris 198.

16- Cantineau (J) Les parles arabes du départelent d'Alger, in 3 congrés de la fédération des société savantes de L'Afrique du nord,TII, 1938 pp 703-711.

18-Clauzel(le générale) observation du cénéral Clauzel sur quelques actes de son gouvernement, Paris 1831

19- Clauzolles (P),Algérie pittoresque, Histoire de L'Algérie, Toulouse 1843.

20- Dan (pére P) Histoire de Barbarie et de ses corsaires des Royaumeset des villes .d'Alger ,de Tunis, de salé et de Tripoli, Paris 1637.

21- Dapper (D'O) Description de l'Afrique, Amsterdam, 1686.

22- Davity (P) Description générale de l'Afrique, Paris 1660.

23- Delphin (A), Notes sur la poésie et la musique arabes dans le monde maghrebin, .Paris 1886.

24- Devoulx (A), la Batterie des andalous, in Revue Africaine, T 16, 1872 pp 340-342.

25- Devoulx (A) Les Edifices religieux de l'ancien Alger, Alger 188.

26- Devoulx (A) Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religeux d'Alger, Alger 1912.

27-Description géographique et histoire des royaumes et provinces qui composent

l'empire des chérifs, TII. Paris 1733.
28- Desfontaines RL. Fragments d'un voyage dans les régences d'Alger et de Tunis 1785-1786, Paris 1958.
29- Doc (F) cherchel et la commune mixte de Gouraya, Blida, 1895
30-Emerit (M)Description de l'Algérie en 1787 par l'officier russe Kokoutos, in Revue d'histoire maghrebine,Tunis,N4,1975.
31-Emerit (M) voyage de la condamine à Alger (1731) in Revue Africaine T 98-1954, pp353-381.
32-Eudel (p) L'orférerie algérienne et tunisienne,Alger,1902.
33. Federmann et Aucapitaine, Notice sur l'Histoire de l'Administrasion de Beylik de Tetteri, in Revue Africaine T9-10,1965.
34- Franc (J) La colonisation de la Mitidja, Paris 1928.
35- Gaillard (M) sur Alger, Observations physiques, Paris 1837.
36- Gapart (le père D) Histoire véritable de ce qui s'est passé en Turquie, Paris 1623.
37- Golvin (L) Les Arts populaires en Algérie "tapis algeriens" Alger 1953.
38- Haëdo (le Bénédictin Fray Diegode), Topographie et histoire générale d'Alger, trad de l'espagnol D. Monnereau et A. Berbrugger, in Revue Africaine, 1870-1871
39- Hamdan ben othman khodja, le miroir, Paris 1985.
40- Jean-Leon L'Africain, Description de l'Afrique, publiée par A. E pau lard, 2 vols Paris 1956.
41- Jugmann (R) Coutumes moeurs et usage des algeriens Strasbourg- Colmar, 1837.
42- latham J. D Les Andalous en Afrique du Nord in Encyclopédie de l'Islam, .nouvelles édition 1966.
43- La peyre (H) Geographie de l'Espagne morisque, Paris 1959.
44- Laugier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Description de ce royaume, Amsterdam, 1725.
.45- Lespés (R) Alger Etude de géographie et histoire urbains, Alger 1930.
46-Massigon (R) La description des côtes deM'Algérie dans le kitab Barriy de piri .15-16, 1973 pp.!Reis, in Revue de l'occident muslman et de la méditerranée, N
47- Marmol Carvajal, Description generale de l'Afrique traduit deL'espagnol par Perrot d'Ablancourt "l'Afrique de Marmol 3 vols, Paris 1687
48- Massignon (L) Elements arabes et foyers d'arbisation, in Revue du monde musulman, vol L VII, 1924, pp 3 157.

49- Massignon (L) Enauête sur les corporations musulmanes d'astisans et de com-.mercants au Maroc, Paris 1925.

50- Monlau (j); Les Etatsbarbaresques, "que sais je?" Paris 1964.

51- Pananti; Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'etat actuel de cette régence, traduit de l'anglais par Blanquière, Paris 1820.

52- Péllissier de Reynaud; Annales algeriennes, 3 vols, Alger, 1836 1839.

53- Penella (J) Le transfert des moriscos espagnols en Afrique du Nord in Etudes sur les moriscos andalous enTunisie,preparées pa m. Epalza et R. petit Madrid,1973. .

54- Perrot (A.M) Alger esquisse topographique du royaume et de la ville Paris 1830.

55- Piesse (L) Itinéraire de l'Algérie, Paris 1885.

56-Petiet (Au) jounal de la toisiéme division de l'armée d'Afique, 2eme éd, Pais 1835.

57-Petis de la crix, Alger en 1695,mémoire publié par M.Emerit, in Annales de l'institut d'études orientales d'Alger TXI,1935.

. 58- Peyronnet (R), le problème nord-africain, 2 vols, Paris1924

59-Peyssonnel (j.A) Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, Paris 1987.

60- Planhol (X. de) La formation de la population musulmane à Blida in Revue .de géographie de lyon, 1961. pp 219-230.

61- Primaudie (Elie de la) le commerce et la navigation de l'Algerie avant la conquête fransaise, Paris 1861.

62- Raynal (L'Abbé de) Histoire des etablisements des europpéns dans l'Afrique septentrionale, Paris 1826

63- Reclus (O. E) Nouvelle geographie universelle, l'Afrique septentrions T IV, Paris 1886.

64- Ricard (P) Dentelles algeriennes et marocaines, collection Hesperis N IV, Paris 1928.

65- Ricard (P) pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du nord et en Espagne, Paris 1924.

66- Roqueville (le sieur de) Relation des moeurs et du gouvernement des turcs,Paris 1675.

67- Rozet (CA) voyage dans la Regence d'Alger, 3 vols, Paris 1833.

68-Sancon (N.d'Abberville) L'Afrique en plusieurs cartes nouvelle et exactes ,Paris 1830 69vols, Paris1655.

69- shaw (D) Voyage dans la Régence d'Alger, trad, de l'anglais par Mac carthy, 2

vols, Paris, 1830.

70- Sieur de la croix, Relation universelle d'Afrique ancienne et maderne, vol; Iyon S.D 2.

71-Tableau de la situation des établissements des fançais en Algérie,Paris, années,1830-1837 et 1850-1851.

73- Trumelet (le colonel c) Blida, 2 vols, Alger 1887.

. 74- Trumelet (le colonel c.) Les saints de l'Islam, "les saints du Tell", Paris 1881.

75- Vallière (C. ph) L'Algérie en 1781 mémoire publié par un chaillou; Toulon T.D.

76- Venture de Paradis, Tunis et Alger aU XVIII SIèCLE, publié par J. Cuoq, paris 1983..